

لقد تعرّضنا إلى الأشكال الأساسية المميزة لأهم أنواع الرواية الأوروبية فقط ، لكن هذه الأشكال لا تستنفد بطبيعة الحال كل الطرق الممكنة لإدخال التنوع الكلامي في الرواية وتنظيمه . إذ من الممكن ، بالإضافة إلى ما سبق ، قرن ومزاوجة كل هذه الأشكال في بعض الروايات ، وبالتالي في أنواع أخرى جديدة من هذا الجنس تنشئها هذه الروايات . والنموذج الكلاسيكي الذي لا تشوبه شائبة للجنس الروائي هو رواية سرفنتس « دون كيخوت » التي حققت بعمق وشمول فريدين كل ما في الكلمة الروائية المتنوعة كلاميا والحوارية داخليا من امكانيات فنية .

ان التنوع الكلامي الذي يُدخل الرواية (ومهما كانت أشكال إدخاله) هو كلام غريب بلغة غريبة يعمل على التعبير عن مقاصد المؤلف تعبيراً مواربا . والكلمة في كلام من هذا النوع هي كلمة ذات ثنائية صوتية خاصة . إنها تخدم في آن متكلمين ، وتعبّر في آن عن قصدين مختلفين : القصد المباشر للمتكلم في الرواية والقصد غير المباشر للمؤلف . في كلمة كهذه صوتان ، معنيان وتعبيران . إلا ان هذين الصوتين مترابطان حواريا ، فكأنهما يعرفان أحدهما الآخر (كما يعرف الردّان ، السؤال والجواب ، في الحوار أحدهما الآخر وبينيان على أساس معرفتهما أحدهما للآخر) ، كأنهما يتحدان . ان الكلمة الثنائية الصوت ذات صفة حوارية داخلية دائما . ذلكم هو حال الكلمة الفكاهية والكلمة الساخرة وكلمة المحاكاة الساخرة ، ذلكم هو حال كلمة الراوية العاكسة ، والكلمة في كلام البطل ، ذلكم هو أخيرا حال كلمة الجنس الدخيل – إنها كلها كلمات ثنائية الصوت حوارية داخليا ، يكمن فيها كلها حوار محتمل ، لكنه ليس حوارا موسعا ، بل مركزا بين صوتين ، نظرتين إلى العالم ، لغتين .